

زَيْنَب بنت موسى

كان سبب شغف ابن أبي ربيعة بزَيْنَب بنت موسى كما قال صاحب الأغاني ان ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلبه وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبَّ بها . فمن ذلك هذه النونية :

يا خليلي من ملام دعاني وألما الغداة بالأظمان
لا تلوما في آل زينب ان الـ قلب رهن بالزينب عاني
ما أرى ما بقيت ان أذكر المو

قف منها بالخيف إلا شجاني^(١)

(١) الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، وهو هنا موضع في مكة عند منى . قال نصيب :

ولم أر ليلي بعد موقف ساعة بخيف منى ترمى جمار المحصب
ويبدي الحصا منها اذا قذفت به من البرد أطراف البنان المحصب
قال ابن جنبي : أصل الخيف الاختلاف وذلك ان ما انحدر من الجبل فليس شرفاً ولا حضيضاً
فهو مخالف لهما . ومنه : الناس أخيف أي مختلفون . قال الشاعر :

الناس أخيف وشتى في الشيم وكاهم يجمعهم بيت الأدم

لم تدع للنساء عندي نصيباً
هي أهل الصفاء والود مني
حين قالت لأختها ولأخرى
كيف لي اليوم أن أرى عمر المر
قالتا نبتغي رسولاً إليه
إن قلوبنا بعد الذي نلت منها
غير ماقلت مازحاً بلساني^(١)
وإليها الهوى فلا تعذلاني
من قطين مؤكّد: حدّثاني^(٢)
سبل سرّ في القول أن يلقاني
ونميت الحديث بالكتمان
كالمنعني عن سائر النسوان^(٣)
فأما بلغ ذلك ابن أبي عتيق
لامه وقال له : أتتلق الشعر في
ابنة عمي ؟ فقال :

إني اليوم عاذني أحزاني
وتذكرت ميعة في زماني^(٤)
وتذكرت ظبية أم رثم
هاج لي الشوق ذكرها فشحجاني^(٥)
لا تليني عتيق حسبي الذي بي
إن بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تليني وأنت زيتنها لي
أنت مثل الشيطان الانسان

(١) لما سمع ابن أبي عتيق هذا البيت قال : رضيت لها بالموودة وللنساء بالدهفشة -
والدهفشة : التجميش والحديعة بالشئ اليسير - والتجميش القرص باطراف الاصابع
(٢) القطين : الخدم والاتباع : والمولد من العبيد والاماء من ولد بين العرب ونشأ مع
أولادهم (٣) المعنى : المحبوس (٤) الميعة : أول الشباب (٥) الرثم : ولد الظبية
ويجمع على آراءم وأزآم

إن بي داخلاً من الحب قد أبى لي عظامي مكنونته وبراني
 لو بعينيك يا عتيق نظرنا ليلة السفح قرّت العينان
 إذ بدالك كشح والوشاح من الدر وفصلٌ فيه من المرجان^(١)
 قد قلّ قلبي قلبى النساء سواها بعد ما كان مغرمًا بالعوانى
 إن دهرًا يلف شملى بسعدى لزمانهم بالاحسان
 ليتنى اشتري لنفسى منها مثل ودى بساعدى وبنانى
 خلّجت عينيّ اليمين بخير تلك عينٌ مأمونة الخلجان

قال قدامة بن موسى : خرجت بأختي زينب إلى العمرة فلما كانت
 بسرف^(٢) لقيتني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم عليّ . فقلت له :
 إلى أين أراك متوجهًا يا أبا الخطاب ؟ فقال : ذكرت لى امرأة من
 قومي برزة الجمال^(٣) فأردت الحديث معها ، فقلت : هل علمت أنها
 أختي ؟ فقال : لا ، واستحيا وثني عنق فرسه راجمًا إلى مكة^(٤)

وخرج ابن أبي ربيعة يريد المسجد وخرجت زينب تريده ، فالتقيا

(١) الكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف - والوشاح : اديم عريض يرصع
 بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها . وفصل الدر بالمرجان تفريقه فيه فيقال :
 وشاح مفصل . وتوصف المرأة الهيفاء بأنها غرّفت الوشاح (٢) سرف على وزن كتفت
 موضع على عشرة أميال من مكة (٣) برزة الجمال : بارزة الحسن أو متجاهرة
 برز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون (٤) ص ٩٩ ج ١ من الاغانى

فأعدا لبعض الشعاب فلما توسط الشعب^(١) أخذتهما السماء، فكره
 أن يرى بثيابها بلل المطر، فيقال لها: ألا استترت بسقائف المسجد
 إن كنت فيه؟ فأمر غلمانها فستروها بكساء خز كان عليه. وفي
 ذلك يقول:

ومن لسقيم يكرم الناس ما به لزيب نجوى صدره والوساوس
 أقول لمن يبغى الشفاء متى تجيء بزيب تُدرِكُ بعض ما أنت لامس
 فانك إن لم تشف من سقمي بها فاني من طب الأطباء آيس
 ولست بناس ليلة الدار مجلساً لزيب حتى يعلو الرأس رامس^(٢)
 خلاء بدت قراؤه وتكشفت دُجنته وغاب من هو حارس
 وما نلت منها محرماً غير أننا كلانا من الثوب المورد لابس
 نجيين نقضى الهوى في غير مأثم

وإن رغمت م الكاشحين المعاطس^(٣)

ومن شعره في زيب قوله:

طال من آل زيب الإعراض للتعدي وما بها الإفاض
 ووليدن كان علقها القلبُ إلى أن علا الرءوس بياض

(١) الشعب بالكسر الطريق في الجبل (٢) الرامس: الدافن في الرمس وهو التبر.

(٣) المعاطس جمع مطس وهو الأنف.

حبلها عندنا متينٌ وحبلى عندنا واهن القوي أنقاض^(١)
 نظرت يوم فرع لفتِ الينا نظرة كان رجعها إيماض^(٢)
 حين قالت لموكب كها الرم ل أطاعت له النبات الرياض^٣
 عجن نحو الفتي البغال نحية بما تكتم القلوب المراض^٤
 وأحدثه ما تضمنت منه إذ خلا اليوم للمسير المراض^(٣)

وقوله :

تصابي القلب وادّكرا صباء ولم يكن ذكرا
 لزيب إذ تجدد لنا صفاء لم يكن كدرا
 أليست بالتي قالت لمولاة لها ظهرا
 أشيرى بالسلام له اذا هو نحونا خطرا
 لقد أرسلت جاريتي وقلت لها خذي حذرا
 وقولي في ملاطفة لزيب نولي عمرا

(١) القوي : طاقات الجبل ، مفردا قوة . والانقاض جمع نقض بالكسر وهو الحلق الذي لم يوجد قتله ولم يبرم (٢) لفت بالكسر ثنية بين مكة والمدينة (٣) المراض مكان الرياضة ، وهو هنا موضع على طريق الحجاز من ناحية الكوفة . قال ياقوت : وهناك لقي الوليد بن عقبة بن أبي معيط بجادا مولى عثمان ابن عفان رضي الله عنه فأخبره بقتل عثمان فقال :
 يوم لاقيت بالمراض بجادا ليت أنى هاكنت قبل بجاد

(٢٢٤)

فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ مِنْ بَذَا أَمْرًا
أَهَذَا سِجْرُكَ النِّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرَنِي الْخَبْرَا

وقوله :

أيها الكاشح المعيرُّ بالصرُّ ثم تزحزحُ فإلها الهجرانُ
لأطاعُ في آتِ زَيْبٍ فَارْجِع أو تكلمُ حتى يئنَّ المسانُ
تجعل الليلَ موعداً حين تُسِي ثم يُخْفِي حَدِيثَنَا الْكُتْمَانُ

كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصبر عن بعض نفسه الانسان

ولقد أشهد المحدث عند ال قصر فيه تعففٌ وبيانٌ (١)

في زمان من العيشة لدنٍ قد مضى عصره وهذا زمانُ

ومن شعره فيها هذا، الرائية الغزلة التي عدوها من هفواته ورأوه

نسب فيها بنفسه ، وهي لو يعامون من أظرف ما يقوله شاعر حاكٍ

سُمائل في حسان يتلمسن أسباب هواء

ما زال طرفي يحار اذ برزت حتى رأيت النقصان في بصرى

ابصرتها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر

ما ان طمعتنا بها ولا طمعت حتى للتقينا ليلاً على قدر (٢)

(١) المحدث : الحديث ، فهو مصدر على صيغة المفعول

(٢) على قدر : مصادفة على غير موعد

(٢٢٥)

بيضا حسانا خرايدا قُطْفًا يمشين هَوْنًا كمشية البقر (١)
قد فزن بالحسن والجمال مبعًا وفزن رسلا بالدلِّ والخفر (٢)
قالت لترب لها تحدُّها لنفسدنَّ الطواف في عمر
قوى تصدَّى له ليعرفنا ثم اغمز به يأخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تسمى على ائرى (٣)
من يُسق بعد المنام ريقها يُسق بمسك وباردٍ خصر (٤)
وقد لاحظت انه يُفيض فيما يُسبغ على زينب هذ من الاوصاف

الحسية ، كقوله :

يامن لقلب متيم كلفٍ يهذى بخود مريضة النظر (٥)
تمشى الهوينا اذا مشت فُضلاً وهى كمثل العسلوج في الشجر (٦)

وقوله من كلمة أخرى

خدَّجة اذا انصرفت رأيت وشاحها قلقا (٧)
وساقًا تملأ الخلجا ل فيه تراه مخنقا

(١) الخرايد جمع خريدة وهى الحفرة الحبية . والقطف جمع قطوف وهى البطيئة السير ، وذلك أثر الترف في النساء (٢) الرسل بالكسر الرفق واللين (٣) اسبطرت : اسرعت (٤) الحصر : البارد (٥) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة (٦) الفضل بضمين المختالة التى تفضل من ذيلها ، وكان هذا في ذلك العصرشارة النعمة تورغدا العيش والعسلوج : العصن اللين (٧) الخدجة بتشديد اللام المرأة الممثلة الذراعين والساقين